شعر التشيع في الأندلس (عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف) مقاربة سيميائية

م.د مرتضى حسين علي

مديرية تربية بابل

الكلمات المفتاحية: السيميائية، شعر التشيع في الأندلس، أدب الطف، أدب التشيع.

ملخص البحث:

يعد الشعر طقسا انسانيا تتواشج أطرافه مع المشاعر والأفكار مستمدا طاقته من ألحان موسيقاه وعمق رموزه وإشاراته، فتمنح مفرداته ظلال معانيها بسخاء لمعالجة ما يكتنف الوجدان من ارهاصات وتجليات. ودراسة السيميائية تدخل ضمن الدراسات النقدية الحديثة التي تسعى إلى اكتشاف مجموعة من العلاقات النصية التي تربط بين جملة من العلامات عبر توضيح العلاقة بين الدال والمدلول، أو كيف يبنى النص الشعري على نسق معقد من العلاقات التي تحمل تشكيلا سيميائيا، بين بنيته السطحية والعميقة مشكّلة ركائزه السياقية. ويسعى هذا البحث إلى محاولة إظهار المقاربة السيميائية لشعر التشيع في الأندلس عبر تحليل النصوص الشعرية والكشف عن بنيتها السطحية والعميقة، فضلا عن دراسة سيمياء الشخصية والزمان والمكان وأثرهما في الكشف عن الجوانب المضمرة في النص الشعري.

مقدمة:

تعد السيميائية من الموضوعات الأدبية المميزة في مجال الأدب والنقد، وقد حظيت باهتمام واسع من النقاد والباحثين، فهي من المصطلحات التي يصعب وضع مفهوم محدد لها؛ لأنها تتنوع في ميادين مختلفة لتشمل كل ميدان قابل للتحليل من علم النفس أو الاجتماع أو السياسة.

يسعى النقد السيميائي –بوصفه نشاطا فكريا– إلى الاستعانة بالدراسة الألسنية التي أرست مفاهيمها عن طريق (دي سوسير) لاسيما في حديثه عن ثنائية الدال والمدلول والعلاقة بينهما، وتحديد مبدأ الثنائية لظاهرة اللغوية (لغة/كلام)، (صوت/معنى)، (واقع/ خيال)، (حضور/ غياب).

وتأتي السيميائية في طليعة المناهج النقدية باتجاهاتها المختلفة، وذلك في اتكائها على الثنائيات الألسنية؛ لأن المبدع في تصور السيميائيين يأخذ الكلمة اللغوية فيدخلها في سياق جديد يجعلها تحمل أكثر من دلالة.

حاولت السيميائية تحرير النص من اهتماماته بالمحيط الاجتماعي والتاريخي مثلما فعلت اللسانيات في تحرير علم اللغة من العلوم الأخرى اللالغوية ودراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، فقد اهتم التحليل السيميائي بتحرير النص من القيود المفروضة عليه من مواضعات وقواعد عبر فتح مجالات الخيال والتعامل مع اشاراته اللغوية وعلاماته، والوقوف على المعاني السطحية المستخلصة من بنية النص، و الوقوف على المعاني المصاحبة والدلالات العميقة والحقيقة المسكوت عنها، وهي دلالات تأويلية تعرف بالبنية العميقة.

إن دراسة شعر التشيع في الأندلس من منظور سيميائي يحيلنا إلى التنقيب عن المفردات والألفاظ التي استعملها شعراء الأندلس عبر التوغل في تحليل النص الشعري والوقوف على معانيه السطحية المتمثلة بحصر الظواهر الطاغية والعلاقات الترابطية بين أجزاء النص الشعري لتكشف عن مقصدية المرسل والمقصديات الخاصة بالمتلقي واستجابته، وكذلك في الوقوف على المعاني المصاحبة والدلالات العميقة أو الخفية المسكوت عنها التي تعد دلالات تأويلية تختلف باختلاف القراء كلٌ حسب مرجعيته وخلفيته الثقافية والايديولوجية.

التمهيد: السيميائية مفهومها وتطورها

مما لا شك فيه أن المعطيات اللسانية التي جاء بها (دي سوسير)(1857-1913) كانت سببا في انبثاق الشرارة الأولى للسيميائية، وعلى يده وصل الدرس الألسني إلى أوج نضجه، حيث تناول اللغة بوصفها أداة اتصال محاولا الوقوف على تكوين العلامة اللغوية [1]. وقد تنبأ (دي سوسير) بميلاد هذا العلم عبر قوله:"يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم جزءا من علم النفس العام"[2]؛ أي أنه أحال هذا العلم إلى مرجعيته الاجتماعية انطلاقا بما يحيط بالإنسان من وسائل تواصل يستطيع عبرها فهم محيطه الخارجي.

ولم تصبح السيميائية منهجا نقديا عند الغرب إلا بعد النصف الثاني من القرن العشرين وبالأخص بعد انحسار البنيوية[3]. ويبدو أن هذا المنهج بدأ بالتبلور بعد إحساس الباحثين بأن البنية السطحية والتفسيرات الداخلية ليست كافية لاستكناه مقصدية النص، وكان لابد من الإشارة إلى بنية عميقة ذات دلالات إشارية وتأويلات خارجية[4].

فالسيميائية "علم يُعنى بدراسة العلامات أو بنية الإشارات وعلائقها في الكون، و يدرس توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية، وعلى هذا فهو يهتم بكل الإشارات الدالة مهما كان نوعها وأصلها من طقوس ورموز وعادات وإشارات وكتابة ولغة"[5].

إن تاريخ المنهج السيميائي بوصفه علما قائما بذاته بدء مع(شارلز بورس) (1839-1914) الذي درس الرموز ودلالتها وعلاقتها عبر فلسفة العلامة بوصفها ماهية معرفية من حيث بعدها الانطلوجي، وبعدها التداولي، فهو ينطلق من عقلية فلسفية تأخذ بنظر الاعتبار الماهية والكيفية لجنس العلامة، إذ تعامل مع جميع الإشارات لغوية كانت أم مادية في نظام سيميائي موحد. لذا فدراسة (بورس) تنم عن فهم دقيق لماهية العلامة وفق نظرية دلالية جاءت بمعزل عن تطورات البحث الألسني الذي تبناه (سوسير)[6].

كانت نظرية (بيرس) السيموطيقية أكثر عمقا وفاعلية من نظرية(سوسير)، لاسيما عند جعل فاعليتها خارج نطاق علم اللغة، فاكتسبت تحديدا أشمل وأكثر عمومية من سابقها بوصفها كيانا ثلاثي المبنى يتكون من المصورة التي تقابل الدال، والمفسرة التي تقابل المدلول، والموضوع الذي لا يوجد له مقابل عند (سوسير)، وقد ميّز (بيرس) نوعين من الموضوعات، الأول: الديناميكي وهو الشيء في علم الموجودات الذي تحيل إليه العلامة التي تحاول أن تمثله، والثاني: الموضوع المباشر الذي يؤلف جزءا من أجزاء العلامة، وعنصرا مكونا من عناصرها[7]، ويمكن تمثيله على النحو الآتي:

المفسرة

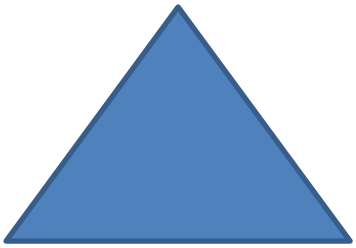

المصورة الموضوع

تعرّف العلامة على وفق إدراك (بورس) بأنها "شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما، من وجهة ما وبصفة ما، فهي توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطورا، وهذه العلامة التي تخلقها اسميها مفسرة للعلامة الأولى، إن العلامة التي تنوب عن شيء ما، وهذا الشيء هو موضوعتها، وهي لا تنوب عن تلك الموضوعة من كل الوجهات بل تنوب عنها بالرجوع إلى نوع الفكرة "[8]، وهذا يعني أن العلامة تؤلف شيئا محسوسا أو مدركا، و وظيفتها أن تكون هوية تعريفية لشيء آخر؛ أي يمكن أن نطلق عليها صفة المؤول أو العلامة المفسرة.

اتخذ النظام السيميائي (العلامة) لتكون النواة التي تشكل النظام اللغوي، نظرا لطبيعتها الدلالية والإبلاغية والتواصلية، فالنص نظام سيميائي مادته الأساس اللغة، وهو يتمثل بمجموعة من الوحدات اللسانية السيميائية التي تعتمد على العلامة أساسا لها[9].

تقوم المقاربة السيميائية على استبيان السمات اللغوية للنص الأدبي عبر مستوياتها المختلفة، وهي تسعى إلى إحداث التشكيل اللغوي عبر تفجير الطاقات الكامنة للغة من حيث التغيير في المدلولات والانزياحات على وفق

قراءة تتخذ من العلامة اللغوية نقطة البدء للولوج إلى عالم النص، سعيا لتتبع المفردات اللغوية بحسب نسقها الظاهري أو علاقاتها العميقة [10]. لذا فإن السيميائية لا تقف عند البنية الخارجية دون الداخلية ولا تفصل النص عن القارئ، فهي تتجاوز البنية السطحية لتكشف عن البنية العميقة للنص الأدبي.

استمدت السيميائية أصولها ومبادئها من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات، والفلسفة والمنطق، والتحليل النفسي، والاجتماعي، والانثربولوجيا، فهي تهتم بكل مجالات السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة مرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى[11].

وبذلك يشتغل التحليل السيميائي على قواعد وأسس نوعية وافتراضات منهجية لمضاعفة معاني الأثر الأدبي بوصفه نظاما متناسقا من العلامات[12]، التي تمثل شكلا من أشكال المعرفة تتداخل فيها عدد من المنطوقات المعرفية في الإطار العام للنص الذي يشكل "آلة لغوية ليس من السهل التحكم بها، وإنما علينا أن نترك لأجزاء النص ما فيه من علامات متسعا من الحوار والجدل والتفاعل الداخلي الذي يكشف عن وجود طرق مختلفة للإبداع والتواصل والتعبير"[13].

المبحث الأول: حركة التشيع في الأندلس

اسهمت حركة التشيع في إثراء الأدب العربي إلى حد كبير، لما يملك من قوة وصدق في التعبير عن أهدافه. فقد كان أول أدب سياسي حاول الشعراء عبره أن يحتجوا فيه على خصومهم ومدافعين عن نظريتهم في الإمامة، وقد امتاز بصدق العاطفة وقوة الشعور الديني لاسيما المديح منه لما فيه من الحرارة والاخلاص، وصدق العاطفة[14].

إن تاريخ الأندلس يؤكد على نزعتها الأموية، حيث كانت محصنة ضد التشيع ودعاته[15]؛ لأن معظم الذين اشتركوا في فتحها من العرب كانوا من الشاميين الذين قامت على أكتافهم الدولة الأموية[16]. وتوّج ذلك بهروب(عبد الرحمن الداخل) اليها خوفا من بطش العباسيين الذي استطاع أن يؤسس في قرطبة إمارة أموية مستقلة عام (139هـ) مما حفز كثيراً من الأمويين الالتحاق به عبر اغرائهم بأرقى المناصب، لذا فقد عارض كل الدعوات عباسية كانت أو علوية، لتعزيز سلطة الدولة الأموية في الغرب الإسلامي[17].

وقد سعى(عبد الرحمن الداخل)(113-127هـ) إلى اقامة دولة أموية في الأندلس، وحرصَ على معارضة المذاهب الأخرى لاسيما المذهب الشيعي[18]، وهذا ما جاء عند المقدسي بقوله:"فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، أما إن عثروا على شيعي، أو نحوه ربما قتلوه"[19]، لذا يتضح أن (عبد الرحمن الداخل) أراد لإمارته مذهباً

واحداً يكون المذهب الرسمي لتلك الإمارة يعزز به الولاء الديني للخليفة، وليضمن عدم تشكيل تيارات سياسية تنازعه في الخلافة أو تعمد إلى نشر أفكارها، لاسيما في بداية تشكيل دولة أموية في الغرب الإسلامي.

استطاع (عبد الرحمن الداخل) اخماد ثورة (شقيا بن عبد الواحد المكناسي الفاطمي) التي امتدت عشر سنوات، أي من عام(151–160هـ) حيث شملت جميع أجزاء الهضبة التي تتوسط شبه جزيرة الأندلس، في محاولتهم لإقامة دولة شيعية في المغرب الإسلامي[20].

وعلى الرغم من محاربة (عبد الرحمن الداخل) واتباعه المذاهب الأخرى التي لا تدين بالولاء له، لاسيما فكر التشيع، إلا أننا نجد أصحاب هذا المذهب متمسكين بنشر أفكارهم وحقهم في الإمامة ، إذ نجد أصداء التشيع تدوي في الأندلس بظهور عدد من العوامل التي أسهمت في نشر فكرة التشيع ومنهما انبثقت الثورات الشيعية في المغرب الإسلامي، وهي:

1- الأقوام العربية التي هاجرت إلى الأندلس بعد الفتح منهم جماعة من ولد(إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب)(عليهم السلام)، ومن هؤلاء بنو حمُّود ملوك الأندلس بعد اندثار سلك بني أمية[21].
2- القبائل البربرية الذين تعاطفوا مع التشيع وما قدمه من تضحيات عظيمة للدفاع عن الإسلام، ومحاربة الظلم والاستبداد لاسيما في معركة الطف، لذا قامت هذه القبائل ببعض الثورات ضد الخلافة الأموية بالأندلس، محاولة منهم في إقامة دولة شيعية في المغرب الإسلامي [22].
3- الثورات المتعددة والمتوالية للشيعة، ومنها ثورة (عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر) الذي ثار على (عبد الرحمن الداخل) عام(143هـ)، التي انتهت بمقتل قائدها من قبل عبد الرحمن الداخل[23]. وثورة(شقيا عبد الواحد المكناسي) التي امتدت من عام(151–160هـ)، وكذلك ثورة (عمر بن حفصون) في جنوب الأندلس، التي امتدت سنين طويلة من إمارة عبد الله بن محمد(275–300هـ) وجزءًا من إمارة عبد الرحمن الناصر[24].
4- رحلة الأندلسيين إلى المشرق وتأثرهم بالثقافة الشيعية لا سيما في العراق ومصر والمغرب، وأولهم (محمد بن عيسى القرطبي المعروف بالأعشى)(ت221هـ) الذي رحل إلى العراق سنة(179هـ)[25]، وكانت نتيجة دراسته نقل بعض كتب (وكيع بن الجراح) الذي كان من أكبر محدثي الشيعة، وكان يذكر فضل الإمام (علي بن أبي طالب)(عليه السلام) ويتخذه قدوته في حياته[26]. وبعد ذلك رحل (عباس بن ناصح الثقفي) الشاعر الذي كان له حظ في الفقه والرواية ولم تشتهر عنه لغلبة الشعر عليه[27].

وبعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة، أثمرت الدعوات الشيعية في استقطاب مؤيديها، حيث استطاع (علي بن حمود) – من اسرة الأدارسة في المغرب– فرض سيطرته على مقاليد الخلافة الأموية سنة(407هـ) [28]. ومنذ ذلك

الحين تجسدت معطيات هذه الدولة في مناهضة الحكم الأموي في الأندلس، وكذلك في الدعوة للدولة العلوية والمذهب الشيعي.

اتخذ شعر التشيع في الأندلس تجليات وصور مختلفة، عمدت على تثبيت واعلاء فكرهم ومعتقدهم، وقد تمثلت في محاور متعددة منها:

1- مديح آل البيت (عليهم السلام): يصور شعر التشيع في الأندلس مناقب آل البيت(عليهم السلام) وحياتهم من شرف وأخلاق وأنساب وكرم، فيأخذ بذلك بعدا دينيا واجتماعيا وأخلاقيا. ومن بين الشعراء الذين تشيعوا لآل البيت (عليهم السلام) الشاعر (ابن هانئ الأندلسي) (326-362هـ)، ويعد في مقدمة الشعراء الشيعة في الأندلس، والقارئ لأشعار (ابن هانئ الأندلسي) يرى تعاليم الشيعة واضحة فيها من طاعة الأئمة وأحقيتهم في الحكم، "وقد أسس ابن هانئ في شعره عقائد الإسماعيلية، وصاغها صياغة شعرية"[29]. يقول في مدح الخليفة المعز لدين الله[30].

أبناءَ فاطمَ هل لنا في حشرنا لَجأ سواكم عاصم ومُجار
أنتم أحبَّاءُ الإله وآلهُ خُلفاؤهُ قفي أرضه الأبرار

ومن بين شعراء الشيعة (أحمد بن درّاج القسطلي)(347-421)، وكان معاصرا لآل حمود وهم من الأدارسة الموالين لآل البيت (عليهم السلام)، كذلك يُعد من الصنهاجيّين المؤازرين للحركات للشيعية في الشمال الأفريقي[31]. يقول في مدح (إدريس بن علي بن حمود الحسني) يهنئه بمولود[32].

هلالٌ بنورِ السَّعدِ والحقِّ مُقمرُ أهلَّ على الإسلامِ ((اللهُ أكبرُ))
أغرُّ نما [في الغرِّ] من آلِ هاشمٍ ووافى به يومٌ أغرُّ مُشَهَّرُ

وكذلك الشاعر(عبادة بن ماء السماء)(304-422هـ) الذي كان معروفا بتشيعه[33] ، وغيرهم كثير، فقد أشاد الشعراء بأخلاق آل البيت(عليهم السلام) وسماتهم التي ميزهم الله بها عن سائر خلقه.

2- إظهار حق العلويين في الخلافة: اتخذ بعض الشعراء الأندلسيين موضوع وصية الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) في استخلاف الإمام علي (عليه السلام) من بعده، مصورين بذلك أحقية العلويين بالخلافة عبر الأدلة والبراهين العقلية من جهة، أو من الاستمالة العاطفية من جهة أخرى. وقد دافع الشاعر(ابن هانئ الأندلسي) في أشعاره عن ذلك وأبدى مظلومية (آل البيت) (عليهم السلام) في انتزاع الخلافة منهم من قبل الأمويين والعباسيين، فنجده يقول[34]:

أهلُ النبوةِ والرسالةِ والهدى في البيناتِ وسادةٌ أطهارُ

والوحيِ والتأويلِ والتحليل والتحـــريم لا خلفٌ ولا إنكارُ

وكذلك أشار (ابن دراج القسطلي) إلى حق العلويين في الخلافة في إشارة منه إلى نسلهم الطاهر وقرابتهم من الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان مكانتهم في نزول بعض الآيات الكريمة بحقهم مثل آية التطهير، وكذلك ذكرهم في حديث الغدير، يقول في بعض أشعاره[35]:

إلى الهاشميِّ إلى الطالبيِّ إلى الفاطميِّ العطوفُ الوَصُولِ

إلى ابنِ الوصيِّ إلى ابن النبيَّ إلى ابنِ الذَّبيحِ إلى ابن الخليلِ

إلى المُستجارُ من المستَجير إلى المُستقالُ من المُستَقيلِ

أراد الشاعر عبر قصيدته التي مدح فيها(علي بن حمود) أن يظهر أنه من نسل الهاشميين الفاطميين وأن لهم الحق في الخلافة لبيان منزلتهم وشرف نسبهم، وكذلك أشار(ابن شهيد الأندلسي) في بعض أبياته إلى تصوير الأمويين بأنهم شر عصبة مقارنة بالهاشميين الأكارم يقول فيها[36]:

لئن أخْرجتني عنكمُ شرُّ عصبةٍ ففي الأرضُ أخوانٌ عليَّ أكارمُ

وإنْ هشّمت حقِّي أميةُ عِندها فهاتا على ظهرِ المحجّةِ هاشِمُ

لذا نادى الشعراء بحق الهاشميين المغتصب، وأحقيتهم في الخلافة بقرابتهم من الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أوصى بطاعتهم؛ لأن فيهم العترة المطهرة من نسله.

3- رثاء آل البيت(عليهم السلام):

يعد رثاء (آل البيت) (عليهم السلام) من أهم الأغراض الشعرية في شعر التشيع في الأندلس؛ لأهميته وبيان حالة التعسف والظلم الذي كابده (آل البيت) من قتل وتعذيب وتهجير لاسيما في سلب حقهم المشروع في الخلافة، لذا فقد ازدهر هذا الغرض في دولة بني حمود الشيعية ودولة الموحدين ممن كانوا ينتسبون إلى العترة الطاهرة (عليهم السلام)، فظهرت أشعار الرثاء محملة بالأسى وهي تصور المشاهد المؤلمة في الاضطهاد والتنكيل وبالأخص ثورة الإمام الحسين(عليه السلام)[37]، والشاعر (ابن دراج القسطلي) أول من ذكر مناقب آل البيت(عليهم السلام) في أسلوب حزين مؤثر، وكان"نواة للقصائد الأندلسية التي تناولت مراثي أهل البيت(عليهم السلام)"[38]، يقول في ذلك[39]:

ووالدكم خـــاتم الأنبياء لكم منه مجدٌ حَفيٌ كفيلِ

تلذ بحملكـمُ عاتقــاه على حمله كل عِبءٍ ثقيلِ

وقال الشاعر(أبو البحر بن صفوان بن إدريس التجيبيّ) قصيدة مشهورة يرثي فيها الإمام الحسين(عليه السلام) يقول فيها[40]:

أومِضْ بِبَرْقِ الأضلُعِ واسْكُبْ غَمَامَ الأدمُعِ

واحزنْ طويلا واجزَعِ فَهوَ مكانُ الجَزعِ

وانْثر دِمَاء المقلتين تأْلُما على الحُسين

ويشير الشاعر (يوسف بن هارون الرمادي)في قصيدته إلى رثاء الحسين الشهيد(عليه السلام) بقوله[41]:

أنا إن رمتُ سلوّاً عنكَ يا قرَّة عيني

كنتُ في الإثمِ كمن شا رك في قتل الحسين

لكَ صولات على قلـــــبي دليلاتٌ لحيني

مثل صولات عليّ يــوم بدرٍ وحنينِ

أما الشاعر(ابن عبدون الأندلسي)(ت520هـ) فقد رثى في رائيته المشهورة الإمامين(الحسن والحسين) (عليهما السلام) بقوله[42]:

وأجزَرَتْ سَيف أشقاها أبا حسنٍ وَأمكنت من حُسين راحتي شمرِ

وليتَها إذا فدَتْ عَمراً بخارجةٍ فَدتْ عَلِيَّاً بمن شاءتْ من البشرِ

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حَسن أنتَ بمعضلة الألباب والفكرِ

تشير القصيدة إلى رثاء (ابن عبدون) لملوك بني الأفطس عند سقوط دولتهم بيد الاسبان، وتطرق الشاعر إلى تصوير مشاهد استشهاد الإمام (علي) وأولاده (الحسن والحسين) (عليهم السلام). وفي مجمل هذه القصائد التي قيلت بحق آل البيت(عليهم السلام) نجد نبرة واضحة لمكانتهم وسمو شرفهم ودرجة قرابتهم من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) مقارنة بمن ظلموهم واستلبوا حقهم في الخلافة.

المبحث الثاني: سيميائية شعر التشيع في الأندلس

لا يخفى على المتتبع لشعر التشيع في الأندلس المحاور الأساس التي بُنيت عليها موضوعات هذا الشعر من مديح أو إثبات حقهم في الخلافة وهجاء خصومهم أو في رثائهم، ولم يكن الأمر في هذه القصائد التي قيلت بحق آل البيت (عليهم السلام) مقتصرا على الدلالة الظاهرية(السطحية) للمعنى، بل فيما تمثله من معانٍ عميقة تكشف عن المسكوت عنه عبر دلالات سيميائية تكمن في توجيه هذا المعنى الخفي لما يناسب الغرض الذي تشير إليه. وفي بحثنا هذا يمكن الوقوف على ثلاثة أنواع يمكن تطبيقها على تلك القصائد وهي: سيميائية الشخصية، وسيميائية المكان، وسيميائية الزمان في معرفة الأبعاد السطحية والعميقة التي تتناسب مع بناء يحرر قراءة النص الشعري دون أن يتجاوز المعطيات الدلالية والسياقات النصية، وإلا سوف يتحول إلى توهمات خيالية تلغي المقصديات التي وضعت له، لا سيما أن الغاية الأساس لهذه المقاربة تكمن في العناية بالمعنى عبر القراءة الاستكشافية[43].

أولا: سيميائية الشخصية

تمثل الشخصية جانبا مميزا في الخطاب الشعري، فهي تطلق على "الذات الواعية لكيانها المستقلة في ارادتها"[44]، وقد زاد الاهتمام بالشخصية في الوقت الذي عرفت فيه سمة التفرد من الاشكالات المعقدة في تحديد ماهيتها، حيث اهتم النقاد والأدباء في تحديد ملامحها الخارجية والداخلية عبر وصف هواجسها وطموحاتها، وابعادها النفسية التي تتماشى مع طبيعة المواقف انفعالا واستجابة[45].

تحمل الشخصية بوصفها(دالا) سيميائيا بعدا عميقا ومرجعية نفسية تمثل اسقاطات الشاعر الذاتية على تلك الشخصيات لاسيما عندما يغذي عواطفه وعقله على مآثر الماضي، والشاعر الأندلسي يصور تلك الشخصيات عبر إدراك الجانب الرمزي والمعنوي في صياغة جديدة بعد استقراء التجربة الفردية لديه، وقدرته على طرح مضامينها الفكرية والحياتية متخذا في ذلك خبراته السابقة في تكوين صورة جديدة أكثر موضوعية حيث يخرج بها من دائرة المشاعر والأفكار الذاتية إلى التعبير عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها في دلالتها الوضعية.

وفي شعر التشيع في الأندلس نجد أن شعراء التشيع يتخذون من الشخصيات الدينية ملاذا لهم في الافصاح عن تشيعهم وتصوير الظلم والجور الذي أصاب آل البيت(عليهم السلام) عند محاولتهم استرداد الخلافة التي سلبت منهم، فنجد الشاعر(محمد بن أبي الخصال)(465-540هـ) يصور رثاءه للإمام الحسين(عليه السلام) في قصيدته، بقوله[46]:

عرج على الطف إن فاتتك مكرمة وأذر الدموع بها سحا وهتانا

وابك الحسين ومن وافى منيته في كربلاء مضوا مثنى ووحدانا

يا ليت إني جريح الطف دونهم أهين نفسا تفيد العز من هانا

اني لأجعل حزني فيهما ترفا يكون للذنب تكفيرا وغفرانا

لله عين بكت أبناء فاطمة ترى البكا لهم تقوى وإيمانا

يرى الشاعر أن البكاء على الحسين(عليه السلام) يمثل جزءا من المشاركة بتلك المأساة، فنجده يتعامل مع اللغة بخصوصية في كشف عمق المأساة عبر الصيغ الفعلية التي تشير إلى الاستمرارية، لتكشف عن المعنى بصورة حسية تدركها الحواس، فالأفعال(عرجْ، أذرْ، ابكْ) جعلت المعنى ذات طبيعة مستمرة ترجع إلى صورة ذهنيّة تكشف عن الموقف الانفعالي بدقة عالية، مما جعل الشاعر يصف إهانة النفس من العز إذا صاحبت في شعورها مصاب آل البيت (عليهم السلام)، وقد جعل من الحزن ترفا، وللذنب غفرانا، والبكاء للتقوى والإيمان.

ربط الشاعر المواقف المتحولة في النفس عبر ربطه لعلاقة السبب(إهانة النفس) بالمسبب(واقعة الطف) والنتيجة اكتساب العز، وكذلك البكاء والحزن يكون نتيجته التقوى والإيمان والغفران، لذا فإن انتاج المعنى يكمن في تحويله من طابعه المادي إلى أشكال مضمونية تُدرك ضمن السياقات المتنوعة[47]، ونجد ذلك جليا في تذكر المأساة والحزن، وتمني المشاركة، والتزام المودة لآل البيت(عليهم السلام).

وفي قصيدة للشاعر (صفوان بن إدريس النجيبي(ت598هـ) يقول فيها[48]:

قِفُوا سَاعِدُونَا بِالدُّمُوعِ فَإِنَّهَا لَتَصغُرُ فِي حَقِّ الحُسَينِ وَيَعظُمُ

وَمَهمَا سَمِعتُم فِي الحُسَينِ مَرَاثِياً تُعَبِّرُ عَن مَحضِ الأَسَى وَتُتَرجِمُ

فَمُدُّوا أَكُفَّ المُسعدينَ بِدَعوَةٍ وَصَلُّوا عَلَى جَدِّ الحُسَينِ وَسَلِّمُ

يتخذ الشاعر من الدموع بعدا سيميائيا في رفع مكانة شهداء الطف (عليهم السلام) وتعظيم منزلتهم، فالشاعر ينتقل بين دلالتين متقاربتين تمثل الأولى صفة الحزن التي تمثلت ببعدها السميائي بالدموع، والثانية عظمة منزلة الحسين(عليه السلام) تمثلت بثورة الحق على الباطل.وبذلك تكون الشخصية دالا يتفاعل مع الآخر ليشاركه محنته الوجدانية .

ويمكن ملاحظة المقومات الدلالية التي تمثل الحالات المتجلية للذات (الشخصية) في مستويات متخالفة، فالدلالة السيميائية لا تبحث عن قوالب جاهزة للممارسة الإنسانية، بل في شروط الانتاج والتداول وكل ما يترتب عن ذلك من تصنيفات تطال الدلالة، كما تطال السلوك الانساني[49]. فقد تمثل المستوى السطحي بمشاركة الحزن والأسى على الحسين وآل بيته(عليهم السلام) وبيان منزلتهم وقربهم من الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، أما المستوى العميق يتمثل في ثورة الحسين (عليه السلام) وتمسكه بالحق.

ويصف الشاعر (ابن دراج القسطلّي) سبايا النساء من آل البيت (عليهم السلام) وما تحمله تلك المشاهد من مواقف مؤلمة أججت بدورها المشاعر الانسانية في نفوس محبيهم، يقول فيها [50]:

فَمِنْ حُرَّةٍ جُلِيتْ بالجلاءِ وعذراءَ نُصَّتْ بِنَصِّ الذَّميلِ

ولا حَلْيَ إلا جُمانُ الدُّمُوع يَسيلُ على كُلِّ خَدّ أسيلِ

فَبُدِّلنَ من بعدِ خَفْضِ النّعيمِ بِشَقِّ الحُزونِ وَوَعثِ السُّهولِ

ومِنْ قِصَر اللّيل تَحْتَ الحِجالِ بِهَولِ السُّرى تَحْتَ ليلٍ طويلِ

وَمِنْ عَلَلِ الماءِ تَحْتَ الظَّلالِ صِلاءِ القُلوبِ بِحَرِّ الغَليلِ

ومِنْ طِيبِ نفْحٍ بنورِ الرِّياضِ تَلَظِّيَ لَفْحٍ بنارِ المقيلِ

ومن أُنسها بَيْنَ ظئر وتِربٍ سُرى ليْلِها بَيْنَ ذِيبٍ وَغُولِ

ومن كُلِّ مرأى مُحَيَّا جَميلِ تَلَقِّي الخُطُوبِ بصَبْرٍ جَمِيلِ

يحمل النص الشعري بعدا سيميائيا يتعلق بشكل مباشر بالشخصية المضطهدة وما تحمل من ابعاد انسانية تجسد في ذاتها صور البطولة والصبر وتحمل الشدائد، وقد مثلت الأبيات الشعرية لوحة انسانية متقابلة بين ماضٍ منعم لنساء آل البيت(عليهم السلام)، وحاضر مفجع في السبي.

وتشير القصيدة إلى مجموعة من العلاقات السيميائية من حيث التكرار، والتماثل، والتخالف على مستوى البنية اللغوية:

1- علاقة التكرار: توضح علاقة التكرار المشهد المتحول بدلالاته المتعددة من أمن واستقرار وحياة آمنة إلى حالة السبي والترحال (ومِنْ عللِ الماءِ، ومن طيبِ نفحِ، ومن أنسها، ومن كلِّ مرأى).

2- علاقة التماثل: وهي علاقة تقارب معنى الألفاظ في الدلالة، مثل:(صلاءِ، لفحٍ، نار)

3- علاقة التخالف: تمثل علاقة التخالف الثنائيات الضدية التي تحقق ابداعا دلاليا مستفيضا في تصوير المفارقة الصورية، مثل: (قصر الليل، ليل طويل)(تحت الظلال، حرِّ الغليل).

إن تشكيل المقومات الدلالية للنص الشعري يتمثل بـ(البنية السطحية) المتمثلة في ذهن المتلقي من مفاهيم ودلالات تتم عبر القراءة الأولية للنص الشعري، فالشاعر يبكي ويرثي مصاب آل البيت (عليهم السلام) في واقعة الطف وتحول حالة استقرارهم وأمانهم إلى حالة السبي والحزن والترحال. أما (البنية العميقة) فيمكن تمثيلها بالعلاقات الدلالية المتلاحمة في بناء منطقي[51]، وهو ما يمكن تصوره في المعنى العميق للنص الشعري المتمثل في رسم شخصية المرأة الثائرة ودورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثبات على مبادئ العدل والحق والقيم المثلى الذي يمثله منهج آل البيت(عليهم السلام).

ثانيا: سيميائية المكان

يرتبط المكان بصورته السيميائية ارتباطا وثيقا بالخيال الفني، والحالة النفسية، فيمتزج خيال الشاعر بالمكان لينتج مكانا فنيا مشبعا بالتجارب الانسانية، لذا فإن ارتباط الشاعر بالمكان لا يكون بوصفه للأبعاد الهندسية المحددة، بل عبر تفاعله مع ذات الشاعر وتجربته ورؤيته للمواقف والأحداث بكل أبعادها[52].

إن أهم ما يميز المكان في توظيفه الشعري أنه يقع بين زاويتين الأولى تمثل زاوية التشكيل الشعري التي يختص بها الشاعر وفقا لرؤيته الشعرية وخياله الفني، والثانية تمثل زاوية التأويل التي يختص بها المتلقي ورؤيته النقدية والذوقية[53].

وإذا كانت اللغة هي البوابة التي يطل منها الشاعر إلى عوالمه الشعرية، فإن المكان الفني "لا يعتمد على اللغة وحدها، وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بوساطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع"[54]، فعلاقة اللغة بالمكان الفني تتحول إلى عوالم فعالة من التخيل فتنشا على أشكال مختلفة من علامات لغوية، وألوان، وأصوات، وصور تودي دورها ووظائفها ودلالاتها[55].

والمكان في شعر التشيع في الأندلس بدلالته السيميائية يكشف عن الأبعاد الثلاثية للعلاقة التي تضم إلى المكان كلا من الذات والآخر، فشعر التشيع يضم كثيراً من الروافد المكانية التي عبر بها الشعراء عن حالة الحزن واللوعة على مصاب آل البيت(عليهم السلام) واستذكارهم واقعة الطف وما تلهمه من مشاعر حزينة وظفها الشعراء في أشعارهم لبيان عظمة تلك المحنة. ومن بين الشعراء الذين تطرقوا إلى ذلك الشاعر(أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي)، إذ يقول في إحدى قصائده[56]:

سلامٌ كأزهار الرُّبى يتنسّمُ على منزلٍ منهُ الهُدى يُتَعَلَّمُ

عَلى مَصرَعٍ للفاطِميِّينَ غُيِّبت لأوجُهِهم فيه بُدُورٌ وأَنجُمُ

عَلَى مَشهَدٍ لو كُنتَ حَاضِرَ أَهلِهِ لَعَايَنتُ أعضَاءَ النَّبيّ تُقَسَّمُ

عَلَى كَربَلا لا أَخلَفَ الغَيثُ كَربَلا وَإِلا فإنَّ الدَّمعَ أندى وأكرَمُ

مَصَارِعُ ضجّت يثرِبٌ لِمُصَابِها وَنَاحَ عَلَيهِنّ الحَطِيمُ وَزَمزَمُ

تتجلى في هذه الأبيات التي ابتدأ بها الشاعر بالتحسر واللوعة والأسى وهي سمات استندت إلى ملامح عقديّة تمثلت في بكاء الموجودات على الحسين (عليه السلام) وبلغت شدَّة الحزن إلى درجة تجاوزت حدود البشرية لتشمل أبرز مقدسات المسلمين في مكة.

كذلك يتم الإشارة إلى الدوال المكانية في القصيدة عبر النموذج الآتي:

الغاية الدلالية	الوسيط الدلالي	العنصرالدلالي
توسيع دائرة الحزن	الوحدة المكانية	معركة الطف

فالشاعر حينما يعدد هذه الأمكنة لا يقصد من وراء ذلك قصدا تقريريا مجردا لأحداث تاريخية، فالسيميائيات لا تبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الانسانية، بل إنها تبحث عن شروط الانتاج والتداول التي تطال الدلالة.

ويمكن تمثيل صورة القصيدة السيميائية عبر المخطط الآتي:

الدال	المدلول	الغاية الدلالية
تقديم الولاء لآل البيت (عليهم السلام) والثبات على عقيدتهم	حب آل البيت ثابت وأولى من كل شيء	بيان إعراض الشاعر عن أفعال ابن زياد ومعارضته

ونجد أن الشاعر يتخذ من المكان دالا سيميائيا يشير إلى حتمية الفقد والرغبة في استذكار معركة الطف حيث يجعل من تلك الأماكن منعرجا سيميائيا لبيان الظلم الذي تعرض له آل البيت (عليهم السلام) من قبل يزيد واتباعه، إذ يعمد الشاعر إلى تكوين صورة ذهنية لدى المتلقي في استذكار الواقعة عبر مشاهد مكانية متسلسلة يريد من خلالها الوصول إلى الغاية الدلالية العميقة التي تشير إلى الاستنكار والرفض لمشاهد القتل والترويع لأحفاد الرسول(عليهم السلام)، فيتخذ من خاصية التكرار وسيلة للوصول إلى تلك الغاية. فقد ذكر الشاعر تلك الصور (على مصرع، على مشهد، على كربلاء) ليؤكد رغبته في استنطاق تلك الأماكن لتصبح شاهدا على ثورة الحق والثبات عليه ضد الباطل وأهله.

تشير الغاية الدلالية للمكان في تكوين البنية السطحية المتمثلة بتقسيم أعضاء النبي إشارة واضحة إلى قتل أهل بيته الكرام وتمني الشاعر عقم أُم (ابن زياد) حتى لا تحدث الواقعة. والبنية العميقة في الثورة على الباطل وبيان مظلومية الإمام الحسين وأهل بيته(عليهم السلام).

وقد قصد الشاعر(عقبة بن عمر السهمي) كربلاء في أواخر المائة الأولى، وزار قبر الحسين(عليه السلام)، فرثاه بالأبيات الآتية[57]:

إذا العينُ قرَّتْ في الحياة وأنتمُ تخافونَ في الدنيا فأظلم نورها

مررت على قبر الحسينِ بكربلا ففاض عليهِ من دموعي غزيرها

فما زلتُ أرثيهِ وأبكي لشجوهِ ويسعد عيني دمعها وزفيرها

وبكيتُ ومن بعد الحسينِ عصائب أطافت بهِ من جانبيه قبورها

سلامٌ على أهل القبور بكربلا وقل لها منيّ سلامٌ يزورها

سلامٌ بآصال العشيِّ وبالضحي توديه نكباء الرياحِ وموِرها

ولا برحَ الوفّاد زوّار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

يمتزج المكان في النص الشعري بالحالة النفسية للشاعر عند محاولته اظهار قدسيته لما يحمل من أبعاد انسانية وروحية وعقدية لا يُمحى ذكرها لعلوقها في النفس الإنسانية، وكذلك لأنها تمثل الثنائية الضدية بين الخير والشر، المقاومة والاستسلام، الإيمان والكفر. لذا نجد الشاعر استعمل مجموعة من هذه الثنائيات المتضادة المتمثلة بالانزياحات البصرية التي تؤثر على سمات دلالية تقع في دائرة السيميائية البصرية (ايقونة بصرية) التي تشكل فرعا من فروع السيمياء. فنجد أن الشاعر استعمل (الوحدة السلبية) في البيت الأول متمثلة بـ(فأظلم نورها)، والبيت الثالث(وابكي لشجوه)، وبين (الوحدة الايجابية) المتمثلة بـ(العين قرّت) في البيت الأول، و(يسعد عيني) في البيت الثالث. وهذه المتضادات اللغوية أعطت للنص قدرة ايحائية أسهمت في بيان الحالة النفسية للشاعر وتأسيه على مصاب آل البيت(عليهم السلام). ويمكن تمثيل الثنائيات الضدية بالمربع السيميائي الآتي:

العين قرت(ت1) ..... فأظلم نورها(ت2)

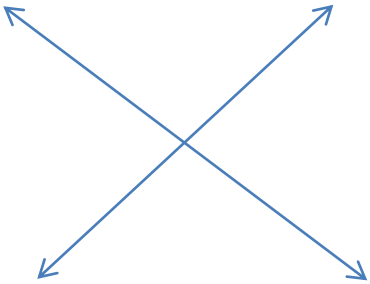

أبكي لشجوه(ت2)..... ويسعد عيني(ت1)

نجد أن إحساس الشاعر بالمكان كان مكثفا وعميقا، حيث استعمل تضاد المخالفة (ت1) (العين قرت)عكس(ت2) (فأظلم نورها) ، وكذلك(ت1)(يسعد عيني) عكس(ت2) (ابكي لشجوه) فهما يمثلان تضاداً تناقضياً للمربع التصنيفي، ونلاحظ أن هذا التضاد هو في الحقيقة تضاد جزئي من حيث تحريكه للعناصر الدلالية داخل الحقل الدلالي نفسه الذي تنتجه الذات المفسرة. فالشاعر حول الصورة الجسدية إلى دلالات بلاغية وفنية عبر توظيف صورة المكان وتفاعلها مع الجسد لتنتج عنها رؤية بصرية وذهنية[58].

إن تمثيل الدوال المكانية في النص الشعري (قبر الحسين، كربلاء، قبورها) يمكن أن ينظر لها "كتجلّ رمزي يمكن إدراكه لمواقع عاملية الذات المساعد ومن المحتمل لمرسل ومعارض"[59]؛ أي يمكن أن تكون الدلالة

السيميائية للمكان موجهه للذات التي تشعر بالأسى والحزن لاستشهاد الحسين(عليه السلام)، ورسالة للآخر المعتدي المعارض بتذكيره بسوء أفعاله.

ثالثا: سيميائية الزمان

تعد اللغة أولى الوسائل الإنسانية التي تتعامل مع جميع الظواهر لاسيما الزمن. ويعد الزمن محورا أساسا في تشكيل النص وتجسيد أبعاده التاريخية والاجتماعية والسياسية والنفسية، ولم ينظر إلى الزمن في المفهوم السيميائي بشكله التقليدي(ماضٍ– حاضر– مستقبل) وإنما أصبح علامة تحمل كثيراً من الدلالات والإشارات المتنوعة تختلف باختلاف المكان والبيئة.

إن الزمن في الأدب " هو الزمن الإنساني، إنه وعينا للزمن كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة، وتعريف الزمن هنا هو خاص، شخصي، ذاتي أو كما يقال نفسي"[60]، لذا فالزمن النفسي يمثل جوهر الوجود الإنساني الذي يصفه الفرد عبر الشعور واللاشعور، فكل انسان يحمل في داخله ذلك الطابع النفسي المسيطر على مجريات حياته، وغالبا ما يكون متعلقا بشكل كبير بماضيه[61].

ومن هنا يمكن أن نميز بين نوعين من الزمان، الأول: يمثل الزمن الفلكي الذي يقاس بالساعات والأيام والسنين، ويتكون من ماض وحاضر ومستقبل، والثاني: يمثل الزمن الوجداني الذي يمثل احساسنا بالزمن، وليس لهذا النوع وجود مادي محدود، بل نجده مصبوغا بالانفعال، وثمة من يسميه بالزمن الفلسفي[62].

كما سعت الآثار الأدبية إلى الاعتراف بالتلازم المتبادل بين وحدتي الزمان والذات، أو الأشخاص والأحداث التي يجري وصفها عبر الزمان في تشكيل وحدة الأثر الفني. لذا تشكلت علاقة وظيفية بين الزمان، والذات والأثر الفني لتعكس صورة متبادلة من الاستمرار والوحدة والهوية[63].

وقد يستحيل انفصال الزمان عن المكان؛ لأنهما يمثلان محور الحياة ونسيجها، فنجد الشاعر(ابن هانئ الأندلسي) يتخذ التاريخ الزمني من بين القنوات المعرفية ممهدا لتعضيد مشروعه الدعائي الشيعي، فحين قراءة قصيدته نستشعر حمولة مرجعية تاريخية عند ذكره حادثة الطف، فقد استوقف على الحوادث الماثلة عند المنعرجات الكبرى لتاريخ الشيعة، يقول فيها[64]:

ألا أن يوْما هاشميا أظَلَّهُمْ يُطيرُ فَراشَ الهامِ عن كل مجثمِ

كيوْمِ يَزيدٍ والسّبايا طَريدةٌ على كلّ موّار الملاطِ عَثَمْثَمِ

وقد غَصّتِ البَيْداءُ بالعِيس فوقها كرائِمُ أبناءِ النّبيّ المكرَّم

ذُعرْنَ بأبناءِ الضبّابِ وأعوَجٍ فأبكينَ أبناءَ الجديلِ وشَدقم

تتداخل النظرة إلى الزمان في النص الشعري بإحساس الشخصية، فقد سلط الشاعر الضوء على هذه المجزرة التاريخية المبنية على مسرحة الحدث الماضي المتداخل مع الحاضر، حيث استعمل الشاعر تقنية الترجيع في ذكره زمن المجزرة عبر الأفعال المصعدة لدراما الحدث(يطير فراش الهام، غصت البيداء، ذعرن، ابكين)، حيث أن هذه الحادثة لا يمكن أن تصبح حادثة تاريخية انتهت وقت حدوثها كالوقائع التاريخية الأخرى، بل نجد أنها متجددة في صورتها التاريخية إلى وقتنا الحاضر؛ لأنها تتصل بالروح المعذبة على تلك الواقعة الأليمة ومتجددة بما يكتنف الوجدان من ارهاصات وتجليات. وبذلك يكون الزمن دالا يتفاعل مع الآخر ليشاركه همومه وأحزانه.

وفي قصيدة (ابن دراج القسطلّي) يتدفق الزمن عبر مستويات متداخلة ، فيصبح له دلالة ايحائية رمزية تصف تطلعات النفس البشرية للمستقبل تتضح عبر النسيج الفني للقصيدة، وبذلك تولد دلالات نحو نهاية لا تنتهي إلا من حيث إدراك المتلقي، يقول فيها[65]:

تهاوَتْ بهِمْ مُصعِقاتُ الرّواعدِ في مُدجناتِ الضحى والأصيلِ

بوارِقٌ ظَلْماء ظُلمٍ تَبِيحُ دُمى مِنْ حِمى أو دما من قَتيلِ

فأذْهَلَ مُرضِعةً عَن رضيعٍ وأنسى الحَمائمَ ذِكْرَ الهدِيل

وشَطّ الصَريخُ على ذِي الصّرَاخِ وفاتَ المُعَوَّلُ ذَاتَ العَوِيلِ

إن بنية الزمن في النص الشعري تعمق البعد الواقعي عبر التشكيل المنطقي والنسبي للزمن، وهو تشكيل يتبلور عبره اتجاه الزمن التاريخي أو التصاعدي، فقد استعمل الشاعر كلمة(الضحى) للإشارة إلى تجلي ضوء الشمس، وبعدها كلمة (الأصيل) وقت اصفرار الشمس قبل غروبها، إشارة رمزية إلى الوقت الطويل والعصيب الذي شهده الحسين وأهل بيته(عليهم السلام) في واقعة الطف. وبذلك يتضح البعد الزمني بقيمته الإيحائية والدلالية.

ويحمل الشاعر في نصه الشعري منظورا مستقبليا للحدث من حيث الاسترجاع بالزمن الماضي للواقعة، أو من حيث الاستباق للزمن القادم، فقد صور فاجعة المشهد بأنه أشبه بيوم الحشر على شدّته وعظمته (فأذهل مرضعة عن رضيع) وبذلك يقتبس الشاعر من معاني القرآن الكريم في قوله تعالى: ((يومَ تَرَونها تَذهلُ كلّ مُرضِعةٍ عمّا أرضَعَت وتضع كُلُّ ذاتِ حَملٍ حَملَها))[66]. وبذلك يصور الشاعر زمن واقعة الطف بأسلوب الاسترجاع تارة،

والاستباق تارة أخرى. إلا أن الزمن النفسي العام في القصيدة "يحقق المتطلبات الشعورية والنفسية التي يقتضيها، ويوجهها الصراع الدائر حين تطور الأحداث في القصيدة، متناوبا سيرها باتحاد الأزمنة فيها غالبا ما بين الاسترجاع والاستباق ثم العودة للاسترجاع"[67]. وعلى الرغم من دلالة الزمن التاريخية الماضوية فإنه مليء بالدلالات المحيلة على المستقبل، ويقع عبء تفسير ذلك على تصور القارئ في تتابع أحداثه[68].

وللشاعر (ابن الآبار)(ت658هـ) قصيدة في رثاء الحسين(عليه السلام)، يقول فيها[69]:

أتنتهبُ الأيامُ أفلاذَ أحمدٍ وأفلاذُ من عاداهُمُ تتوددُّ

ويضحى ويظمأ أحمدٌ وبناتُه وبنتُ زيادٍ وردُها لا يصرّدُ

أفي دينهِ ؟ في أمنهِ ؟ في بلادهِ تضيق عليهم فسحةٌ تتورّدُ

وما الدينُ إلّا دينُ جدهمُ الذي به أصدروا في العالمينَ وأوردوا

يكتسب الزمن في النص الشعري أهميته عبر الأحداث التي تجري خلاله، فقيمة الزمن ليست في ذاته بل في الأحداث المميزة التي تركت بصمتها التاريخية، لذا يحيلنا الشاعر إلى الفترة الزمنية التاريخية التي يقترب منها آل البيت(عليهم السلام) بجدهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ليوضح درجة القرابة وحب الرسول الكريم لأحفاده الأطهار. ويقارن حالة آل البيت (عليهم السلام) في الظمأ والجوع والغربة، وبين من عاداهم من آل زياد.

والزمن في النص الشعري يقف عند لحظة يمكن وصفها بالذاتية حينما قرَّب الشاعر صورة آل البيت (عليهم السلام) مع جدهم النبي الكريم، ليوضح عمق التجربة الإنسانية في الاستدلال على أواصر المحبة والترابط والقرابة، وهي نظرة مصوبة نحو ما يميز الانتظام الزمني في مساحته التاريخية، وقد استعمل الشاعر الصور التي تكشف عن معاناة آل البيت(عليهم السلام) ومعاناتهم في قوله:(أتنتهب الأيام، يظمأ أحمد، تضيق عليهم) في إشارة منه إلى استمرارية الحدث، فالزمن الشعري ينظر في السياق وليس في اللفظة المفردة ، ومن هنا تنوعت الدلالات الزمنية بتنوع السياقات والصيغ، فالزمن يوجد في كل البنيات التركيبية التي تولدها الملكة اللغوية البشرية[70].

الخاتمة:

شكلت السيميائية في شعر التشيع أفاقا متعددة عبر إعادة النظر في التعامل مع قضايا المعنى، فقد سعت الدراسة إلى إظهار الدلالات السطحية والعميقة للمعنى تكشف عن المسكوت عنه عبر دلالات سيميائية تكمن في توجيه المعنى الخفي لما يناسب الغرض الذي تشير إليه.

وفي بحثنا تمت دراسة السيميائية على ثلاثة أنواع، وهي: سيميائية الشخصية، وسيميائية المكان وسيميائية الزمان لمعرفة الأبعاد السطحية والعميقة للبناء الشعري دون تجاوز المعطيات الدلالية والسياقات النصية بما يناسب المعنى عبر القراءة الاستكشافية.

اتخذ الشعراء الأندلسيون من الشخصيات الدينية ملاذا لهم في الافصاح عن تشيعهم وحق آل البيت(عليهم السلام) في الخلافة التي سلبت منهم. فتحمل الشخصية بوصفها دالا سيميائيا بعدا نفسيا يتمثل في اسقاطات الشاعر الذاتية على تلك الشخصية عبر إدراكه الجانب الرمزي والمعنوي لتلك الشخصية وقدرته على طرح مضامينها الفكرية.

يرتبط المكان بصورته السيميائية بالخيال الفني، والحالة النفسية؛ لينتج مكانا فنيا مشبعا بالتجارب الإنسانية، فوصف الشاعر للمكان لا يتم بتجسيده للأبعاد الهندسية المحددة بقدر ما يحمله المكان من دلالات ايحائية مشبعا بالتجارب النفسية ورؤيته للمواقف والأحداث بكل أبعادها.

يعد الزمان محورا أساسا في تشكيل النص الشعري، ولم ينظر المفهوم السيميائي للزمان بمفهومه التقليدي(ماضٍ– حاضر– مستقبل) بل فيما يمثله من علامات تحمل من الدلالات والإشارات المتنوعة التي تختلف باختلاف المكان والبيئة.

الهوامش:

(1) ينظر: بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ليونارد جاكسون، ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001: 313-314.

(2) علم العنونة، عبد القادر رحيم، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، 2010م: 20.

(3) ينظر: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، إبراهيم عبد العزيز السمري، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011: 286.

(4) ينظر: اللغة والتفكير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1995: 77.

(5) علم العنونة:17.

(6) ينظر: النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996م: 10.

(7) ينظر: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986: 26-28.

(8) المرجع نفسه: 138.

(9) ينظر: نحو مشروع تنظيري في وصف الدال بين القراءة والكتابة، المنصف عاشور، م5، مجلة فصول، القاهرة، 1984م: 93.

(10) ينظر، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996م: 8-9.

(11) ينظر:مدخل إلى مفهوم سيميائية الصورة، إبراهيم محمد سليمان، مجلة جامعة الزاوية، العدد السادس عشر، المجلد الثاني، 2014: 161.

(12) ينظر: الإبداع الروائي اليوم، محسن جاسم الموسوي وآخرون، ط1، دار الحوار، اللاذقية، دمشق، 1992م: 241.

(13) النقد الأدبي الحديث، إبراهيم محمود خليل، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2003: 105.

(14) ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، محمود علي مكي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004: 53

(15) ينظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت: 55.

(16) ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية: 5.

(17) ينظر: في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، ط2، دار المعارف، مصر، 1966: 16.

(18) ينظر: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغربْ، د. عبد العزيز فيلالي، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م: 94.

(19) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء المقدسي(335-390هـ)، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م: 237.

(20) ينظر: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب: 94.

(21) ينظر: نفح الطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، م1، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م: 300.

(22) ينظر: البربر في الأندلس، محمد حقي، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2001م: 204-206.

(23) ينظر: المُغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، ج2، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، مصر، 1995م: 161.

(24) ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية: 10-13.

(25) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي(351-403هـ)، ج1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م: 633.

(26) ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية: 16.

(27) ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: 505.

(28) ينظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، د. شوقي ضيف:54.

(29) ظهر الإسلام، أحمد أمين، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م: 207.

(30) ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م:150.

(31) ينظر: ديوان ابن دراج القسطلّي، تحقيق: د. محمود علي مكي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1961م: 27.

(32) المصدر نفسه: 531.

(33) ينظر: نفح الطيب:484.

(34) ينظر: تبيين المعاني في شرح ابن هانئ الأندلسي، د.زاهد علي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1352هـ: المقدمة 53.

(35) ديوان ابن دراج القسطلي: 79.

(36) ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي، مراجعة: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 2013م:154.

(37) ينظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية:56.

(38) المرجع نفسه: 54.

(39) ديوان ابن دراج القسطلّي: 81.

(40) زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، عبد القادر محداد، مطبعة بيروت، 1939م:140-141.

(41) الأدب الأندلسي منذ الفتح حتى نهاية سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دار المعارف، مصر، 1985م:288.

(42) المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م: 81.

(43) ينظر: شيفرة أدونيس الشعرية، سيميائية الدال و لغة المعنى، محمد صابر عبيد، ط1 ، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ومنشورات الاختلاف الجزائر، 2009م:24.

(44) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، د.ت: 475.

(45) ينظر: الرواية العربية الجديدة :دراسة في آليات السرد وقراءات نصية، شعبان عبد الحكيم محمد، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2014م: 69.

(46) أدب الطف وشعراء الحسين(عليه السلام)، جواد شبر، ج 10، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، د.ت: 305.

(47) ينظر: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنغراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، د.ت: 256.

(48) زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي : 142.

(49) ينظر: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنغراد:265.

(50) ديوان ابن دراج القسطلي: 77.

(51) ينظر: النص الشعري وآليات القراءة، د. فوزي عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1970م: 10-11.

(52) ينظر: المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، ط1، دار ابن هانئ للنشر والتوزيع، دمشق، 1989م: 35.

(53) ينظر: فاعلية المكان في الصورة الشعرية سيفيات المتنبي أنموذجا، علي متعب جاسم، منى شفيق، مجلة ديالى، العراق، العدد الأربعون، 2009م: 4.

(54) المكان في الشعر العربي، اعتدال عثمان، مجلة الأقلام ، مهرجان المربد الشعري السادس، 1996م: 76.

(55) ينظر: شعرية المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين حسين، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، 2000م: 76.

(56) أدب الطف أو شعراء الحسين(عليه السلام)، ج4، جواد شبر،ط1، دار المرتضى للنشر والتوزيع، بيروت، 1988م: 12.

(57) أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر،ج1 جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 2001م: 52.

(58) ينظر: النزعة الايقونية وتطبيقاتها في السيميائيات المعاصرة، جميلة شاطو ،رسالة ماجستير،جامعة جامعة وهران، الجزائر، 2013م: 79.

(59) المربع السيميائي والتركيب السردي، دانيال باط، عبد الحميد بورايو، ترجمة:جامعة فندربيلت، الولايات المتحدة ، جامعة الجزائر، مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، العدد343، 2007: 150.

(60) الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة: د. أسعد رزوق، مراجعة: العوضي الوكيل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1972م: 10.

(61) ينظر: قضية الزمن من خلال القرآن الكريم، د. حميد الطريطر، ط1، دار وحي القلم، لبنان، بيروت، 2004م: 71.

(62) ينظر: الزمن واللغة، مالك المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م: 11.

(63) ينظر: الزمن في الأدب، هانز ميرهوف: 43-44.

(64) ديوان ابن هانئ الأندلسي: 323.

(65) ديوان ابن دراج القسطلي: 77.

(66) سورة الحج: (الآية/2)

(67) تداخل الفنون في الشعر لدى جيل الستينات بمصر، فاطيما عبد المطلب محمود، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2002م: 155.

(68) ينظر: السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر، د.فايزة أحمد الحربي، ط1، النادي الأدبي، الرياض، 2010م: 739.

(69) أدب الطف، جواد شبر، ج4: 69.

(70) ينظر: الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، امحمد الملاخ، ط1، الدار العربية ناشرون، بيروت، 2009م: 24.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

القرآن الكريم

- ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1961م.
- ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي، مراجعة: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 2013م.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، د.ت.
- المُغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، ج2، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، مصر، 1995م.
- نفح الطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، م1، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

ثانيا: المراجع

1- الإبداع الروائي اليوم، محسن جاسم الموسوي وآخرون، ط1، دار الحوار، الاذقية، دمشق، 1992م.

2- اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، إبراهيم عبد العزيز السمري، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011م.

3- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء المقدسي(335-390هـ)، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م:237.

4- أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986م.

5- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف، مصر، 1985م.

6- أدب الطف أوشعراء الحسين(عليه السلام)، جواد شبر، ج10، منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

7- البربر في الأندلس، محمد حقي، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2001م.

8- بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ليونارد جاكسون، ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2001م.

9- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (الأندلس)، شوقي ضيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

10- تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي(351-403هـ)،ج1، تحقيق: إبراهيم الأيباري،ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

11- تبيين المعاني في شرح ابن هانئ الأندلسي، د.زاهد علي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1352هـ.

12- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، محمود علي مكي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.

13- الرواية العربية الجديدة: دراسة في آليات السرد وقراءات نصية، شعبان عبد الحميد محمد، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2014م.

14- زاد المسافر وغرّة محيا الأدب السافر، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، عبد القادر محداد، مطبعة بيروت، 1939م.

15- الزمن في الأدب، هامز ميرهوف، ترجمة: د. أسعد رزوق، مراجعة: العوضي الوكيل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1972م.

16- الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، أمحمد الملاخ، ط1، الدار العربية ناشرون، بيروت، 2009م.

17- الزمن واللغة، مالك المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.

18- السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر، د. فايزة أحمد الحربي، ط1، النادي الأدبي، الرياض، 2010م.

19- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنغراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، د.ت.

20- شعرية المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين حسين، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، 2000م.

21- شيفرة أدونيس الشعرية، سيميائية الدال ولغة المعنى، محمد صابر عبيد، ط1، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2009م.

22- ظهر الإسلام، أحمد أمين،ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.

23- العلاقات السياسية بين الدول الأموية في الأندلس ودول المغرب، د. عبد العزيز فيلالي، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.

24- علم العنونة ، عبد القادر رحيم، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، 2010م.

25- قضية الزمن من خلال القرآن الكريم، د. حميد الطريطر، ط1، دار وحي القلم، لبنان، بيروت، 2004م.

26- اللغة والتفكير والتواصل، مصطفى ناصف، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1995م.

27- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المركشي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

28- معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996م.

29- المكان في الرواية العربية، غالب هلسا، ط1، دار ابن هانى للنشر والتوزيع، دمشق، 1989م.

30- النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، محمد عزام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996م.

الرسائل الجامعية:

1- تداخل الفنون في الشعر لدى جيل الستينات بمصر، فاطيما عبد المطلب محمود، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2002م.

المجلات :

1- فاعلية المكان في الصورة الشعرية سيفيات المتنبي أنموذجا، علي متعب جاسم، منى شفيق، مجلة ديالى، العراق، العدد الأربعون، 2009م.

2- المربع السيميائي والتركيب السردي، دانيال باط، عبد الحميد بورايو، جامعة الجزائر مجلة بحوث سيميائية، الجزائر، العدد 343، 2007م